شرح إحياء علوم الدين
شيخ فواز النمر

جامعها الفقير فخر الرازي(ابي ميدان)

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. رب يسر وأعن وتمم بخير يا كريم.

قال الشيخ الإمام الأوحد زين الدين شرف الأئمة حجة الإسلام سيدي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى وأعاد الله علينا من بركاتهم وأنوارهم.

وقد أكرم الله دمشق الشام بالإمام الغزالي، نعم، وتشرفت الشام به وتشرف هو بالجامع الأموي. هنا جلس مدةً من الزمن في الجامع الأموي سيدي أبو حامد الغزالي، وهذه زاويته، زاوية الإمام الغزالي. قيل هي الغرفة التي في الموضع الزاوية الغزالية، وهناك قول آخر بأنها الغرفة التي كان يجلس فيها العبد الفقير، غرفة شيخنا الشيخ عبد الرزاق، كما قال الشيخ اليعقوبي حفظه الله تعالى.

قال سيدي الإمام الغزالي رحمه الله: أحمد الله تعالى أولًا حمدًا كثيرًا متواليًا وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين، وأصلي وأسلم على رسوله ثانيًا صلى الله عليه وسلم صلاةً تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأستخير سبحانه وتعالى ثالثًا في ما بعث له عزمي من تحرير كتابٍ في إحياء علوم الدين.

وانتدب لقطع تعجبك رابعًا أيها العاذل الغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين أن تدبّ - أي يُسارع الغالي المجاوز الحد في كل أمر - هؤلاء الحساد وما أكثرهم، المسرف في التقريع والإنكار من طبقات المنكرين الغافلين.

حسد الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالناس أعداءٌ له وخصومُه
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدًا وبغيًا إنه لدميمُ

فلقد حلّ عن لساني عقدة الصمت رب العزة والجلال، حلّ عن لسان الإمام الغزالي عقدة الصمت وطوقني عهدُ الكلام وقلادة النطق.

ما أنت مثابرٌ عليه من العمى عن جليّة الحق، إنه هذا الحاسد - والعياذ بالله - أعمى القلب أخرس اللسان، وهؤلاء الربانيون صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فرب العزة والجلال أفاض عليه من العلوم والفهوم.

ومع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل، هذا شأن الحاسدين والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق وميلًا يسيرًا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم.

الله أكبر! إلى العمل بمقتضى العلم، هذا ما يقرّره الإمام الغزالي، وهذا هو التصوف: العمل بمقتضى العلم طمعًا في نيل ما تعبّدنا الله عز وجل به من تزكية النفس.

انتبهوا انتبهوا إلى المراد من طلب العلم: من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركٍ لبعض ما فرّط من إضاعة العمر يأسًا عن تمام التلاف والجبر، وانحيازًا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم:

> «أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله سبحانه وتعالى بعلمه.»
> حديث رواه الطبراني والقضاعي في مسند الشهاب والبيهقي في الشعب.

ذلك نقرأ هذا العلم إن شاء الله تعالى لنعمل به، لنعبد الله عز وجل عن علم، نشتغل بتزكية القلب أيها الأحباب. لا من أجل أن نحمل العصا ونتعب... لا، والعمر - أي والله - قَسَمي، لا سبب لإصرارهم على النكير إلا الداء الذي عمّ الجم الغفير، بل شمل الجماهير: من القصور عن ملاحظة ذروة الأمر، والجهل بأن الأمر جدٌّ والخطبة جدٌّ.

والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة، والأجل قريب، والسفر بعيد، والزاد طفيف، والخطر عظيم، والطريق سدّ. وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم

والعمل عند الناقد البصير ردٌّ مردود.

إذا لم يكن خالصًا، فلو صنّف أو تكلم في العلم أو عمل، فكل هذا مردود. وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب مكدٍّ.

رضي الله عنه الإمام الغزالي أيها الأحباب، فهذا الكتاب الذي نقرؤه وهو كتاب إحياء علوم الدين، هذا دليل ورفيق لنا إلى الآخرة.

أدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. ولكن أي علماء؟ هؤلاء علماء الآخرة الربانيون الناصحون الذين تعلموا من أجل أن يعملوا ويزكّوا أنفسهم.

أما الذي قرأ العلم من غير عمل ولا تزكية، فهذه صنعة مثل من الصناعات: مثل طبيب تعلّم ليفتح عيادة يأخذ المال، ومهندس تعلم الهندسة لأجل المال، وكذلك إذا قرأ علوم الشريعة من أجل الدنيا والجاه والمناصب، هؤلاء ليسوا أدلة على طريق الآخرة، بل هم قطاع طريق.

سيأتي معنا في الإحياء، سماهم قطاع طريق.

لأن هذا الإحياء رب العزة والجلال شرّفني الله سبحانه وتعالى بقراءته من ألفه إلى يائه عند شيخنا الشيخ عبد الرزاق الحلبي هنا في الجامع، وثُلّة من الأحباب حضروا هذا الكتاب.

ثم - ولله الحمد - أكرمنا الله عز وجل بقراءته أيضًا أيها الأحباب، قرأناه أيضًا هنا في الجامع الأموي قبيل الفجر.

بدأنا بقراءته في 18 رجب 1434 هـ، 27 أيار 2013 م، بدأنَا بقراءته هنا في الجامع الأموي قبل الفجر، وربي عز وجل شرّفنا. نسأل الله أن ينفعنا بقراءته كاملة من ألفه إلى يائه.

نعم، شيخنا الشيخ عبد الرزاق الحلبي كان يقرأ الإحياء يوم الجمعة فقط، كل

أسبوع يوم، وقرأه كله.

أدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر عنهم الزمان. لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم في الشام، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ولم يبقَ إلا المترسمون، يعني هذا الكلام من نحو ألف سنة ونَيِّف، قال: ولم يبقَ إلا المترسمون.

الدنيا كلها صارت مراسم الآن، لا حول ولا قوة إلا بالله. حتى في الموت الآن، يموت إنسان فتَصير هناك مراسم للدفن ولا تلاحظ لا السُّنة ولا الخشية ولا العبرة.

يموت أبوه فهو تركه، والذهب أعظم عبرة في حياته فاتته، وهو يشتغل بمراسم الدفن: «شو بدنا نساوي؟» و«شو الموضة الآن بين الناس؟» وأبوه تركه ميتًا، ما أخذ العبرة، ولا غسّله ولا شهد تغسيله، وكّل به العمّال وأعطاهم المال.

وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان والعياذ بالله. نسأل الله أن لا يجعلنا منهم.

كل من قرأ العلم أو تعلم من أجل أن يُقال: «من ورثة الأنبياء» فهو كذوب. واستحوذ عليه الشيطان.

وأصبح كل واحدٍ بعاجل حظّه مشغولًا، والعياذ بالله. نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة.

الدليل الآن ربما أنت في جلسة قبيل المغرب بنصف ساعة، كلهم يقولون طلاب علم ودعاة إلى الله عز وجل، ومتكلّم يحاضر، أذّن المغرب، انظر: واحد اثنان يقومون للصلاة، والباقي: «لا، بدنا نكمّل الجلسة، هلا مؤتمر، هلا ومي حلوة وتلفزيون عم يصوّر، شلون بدنا نقطع لأجل الصلاة؟»

واهمٌ الطغيان، وركبهم الشيطان، واستحوذ على أكثرهم الشيطان. نسأل الله أن لا يجعلنا منهم.

نحن لا نبرئ أنفسنا أيها الأحباب: ﴿وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمّارةٌ بالسوء﴾، لكن هذا واقع تعيشه أمتنا.

فأصبح كل واحدٍ بعاجل حظه مشغوفًا، فصار يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا. الذي نقوم نصلي يقول له: «تارك عليك دينك، هلا وعود بعدين منصلي»، حتى ظلّ الذي يصلي هو الغريب وصاحب الدين.

حتى ظل علم الدين ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسًا، ولقد خُيّل إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهارج الطغام أراذل الناس، أو جدلٌ يتدرج به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام.

هذا ما يصنعه الآن كثيرٌ من طلاب العلم في المعاهد أو الكليات: ما فائدة العلم إلا النقاش والجدال.

ويناقشه: «أنا فلان أفحمته»، و«فلان أسكته»، ويتمنى لأخيه الخطأ، وربما يناقشه في مسألة في العقيدة ويتمنى له الخطأ، والخطأ في العقيدة كفر، وتمني الخطأ مصيبة.

خطأ وتمني خطأ في العقيدة كفر أبدًا.
أو جدل يتدرّب به طالب المباهاة، أنا في كل حياتي ما سمعت شيخَنا جلس يُجادل أحدًا خالص، يُبين الحق ويمشي. شيخنا الشيخ علي الفروجي أيضًا ما رأيته صنع هذا، هذا علم المراد منه العمل لا المباهاة.

والله، كانت ربما تُعرض مسألة في كل الحاضرين ما أحد يعرفها، شيخنا الشيخ علي الفروجي ما يقولها، لا يكتم العلم، لا، يقولها، يخاف على نفسه إنه والله الظهور، إنه والله مسألة ما حدا عرفها إلا الشيخ علي الفروجي، ولا يكتم العلم،

يهمس بأذني ويقول لي: قل لهم هكذا بكل لطف، وهو مستحيٍ، قل لهم هذا باب تبليغ وهو بذل وانكسار.

قل لهم هذا، ولا يريد مني أن أقول الشيخ علي قال، لكن أنا أقول لهم: الشيخ علي قال. هكذا ظل الآن التلميذ يأتي بعد كم يوم، الشيخ عم يحكي بيقاطع في الكلام.

أو جدل يتدرّب به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام. ربما بدأ بمجلس العلم، بدأه بأبيات من الشعر. البارحة مرّ معنا في كتاب التاج: عندما يُقال الشعر يأتي الشيطان، قلت: بسم الله يهرب الشيطان. قلت: تَعِسَ الشيطان، تعاظم حتى صار كالبيت. قلت: بسم الله صغُر حتى صار كالنملة. أبدًا.

أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ. ظل كثير من المناسبات الدينية، متكلموها يبدأون الكلام، لا خير في كلامهم، كلامهم أبتر.
«كل أمر ذي بال لا يُبدأ ببسم الله فهو أبتر». يبدأون الكلام من غير بسملة، من غير حمدلة، من غير صلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.

آخر الزمان الذي وصلنا إليه. لكن أنا حزني على هؤلاء أتباعهم الصغار، هم ما فاهمين شو القصة، ظنّوا أنهم يتبعون أئمة أعلامًا أيها الأحباب، وهم في الحقيقة «إنا لله وإنا إليه راجعون».

أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة: مصيدة للحرام وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة، هذا الذي يريده المصنف ويريده كل من أراد الله، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقهًا وحكمةً وعلمًا. هذا حقيقة الفقه والعلم والحكمة، هذا طريق الآخرة أيها الأحباب.

لأن أكثر من يقرأ الفقه لا يعرف هذا أيها الأحباب، يقرأ ويقرأ ويقرأ، ربما ليست

له قيام صلاة ركعتين في جوف الليل، يقرأ ويقرأ لا يعرف صومًا ولا وِردًا ولا... أبدًا.

بالعكس، الآن في آخر الزمان صاروا يعيبون على من يذكر. واحد قال له: واللّه رحت سافرت أنا وفلان هيك سفرة، قال له: أكيد الضال لك ياكل قراءة أوراد وأذكارا مو هيك سمعت.

الآن بطّلوا، آخر الزمان، يعيبون على الذاكرين وعلى من يقرؤون العلم.

واحد ثاني قال له: لو فلان تولى وصار سلطانًا، لحمل كل واحد من المسلمين كتابًا يقرأ به. سمعنا إلى زمن الجهالة. وهذا اللي عم يحكوا معهم شهادات ودكتوراه وشريعة.

هذا الزمن الذي وصلنا. على كل، المصنف يتكلم منذ ألف سنة، لو جاء إلى زماننا اللّه يرحمه.

نعم، قال: فأما علم طريق الآخرة، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه اللّه تعالى في كتابه: فقهًا وحكمةً وعلمًا وضياءً ونورًا وهدايةً ورشدًا، فقد أصبح من بين الخلق مطويًا وصار نسيًا منسيًا.

ولما كان هذا سُلَّمًا في الدين ملمةً وخطبًا مدلهمة، رأيتُ الاشتغال - الغزالي يقول - رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهمة إحياءً لعلوم الدين.

لذلك قال العلماء: لو الآن فُنيت كتب الإسلام كلها، ذهبت، وبقي إحياء علوم الدين، لكفى المسلمين وكشفًا عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحًا لما هي العلوم النافعة.

ها، يوضح لنا المصنف ما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين سلام اللّه عليهم أجمعين.

ولقد أسسته على أربعة أرباع: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات. وصدر الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم، ليكشف أولًا عن العلم، يريد أن يكشف لنا المصنف عن العلم الذي تعبّد الله عز وجل الأعيان بطلبه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، رواه ابن ماجه.

وأُميّز فيه العلم النافع من الضار. الله أكبر! في علم ضار؟ نعم. هذا الذي يقرأ... قرأوا العلم مثل بعض الناس، يقرأ، نعم، يقرأ عن حقوق الزوج، آه، من أجل أن يردّ على زوجته، بيروح بيجي بيقول لها: «وعليكِ وعليكِ وعليكِ»، وهي تقرأ كذلك مع حقوق الزوجة من أجل أن تردّ على زوجها.

أحد العلماء المرشدين قال: من حضر مجلسنا من أجل هذا، فإنني أنصحه ألا يحضر، أنا أنصحه ألا يحضر.

تريد أن تأخذ عصًا تضرب بها امرأة؟ لا. دكتور البوطي قال: «إن أردتَ العيشة الهنيّة مع زوجتك، أنت تُطالب نفسك بالحقوق التي عليك، وهي تُطالب نفسها بالحقوق التي عليها».

ولكن الآن كل واحد يقول: «أنت عليك أن تصنع»، والثاني يقول: «أنت عليك»، ويردّ بعضهم على بعض.

قال: وأُميّز فيه العلم النافع من الضار، إذ قال صلى الله عليه وسلم: «نعوذ بالله...» اسمعوا من قائل! يقول في علم لا ينفع: «نعوذ بالله من علم لا ينفع»، رواه مسلم.

وأحقّق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بالمعارك نعم من العلوم بالقشر عن اللُّباب.

وأنا أقرأ لكم تخريج الأحاديث، لأن بعض النُّوك من المحرومين من علم الإمام الغزالي يقول لك: والله إحياء علوم الدين فيه أحاديث ضعيفة.

لك يا ويلك من الله، يا أيها المنكر! منذ مدة، أحد علماء الحديث في بلادنا قال: نسبة الأحاديث الضعيفة في كتاب الغزالي، في كتاب الغزالي في المواعظ والحِكم، هي أقل من نسبة الأحاديث الضعيفة في المواعظ في الحِكم في كتب الحفاظ أهل الحديث.

احفظوا هذه العبارة.

قال: ويشتمل ربع العبادات على عشرة أبواب:
كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة.
من خلال هذا الكتاب نحن في الكتاب، لو كنا نقرأ فتح باب العناية عن شرائط الصلاة، لكن هنا الغزالي سيعلّمنا أسرار الصلاة. في أسرار في الصلاة!
وكتاب أسرار الزكاة، في أسرار للزكاة.
وكتاب أسرار الصوم.
وكتاب أسرار الحج.
وكتاب آداب تلاوة القرآن، سيتكلّم كلامًا عجيبًا في آداب تلاوة القرآن.
وكتاب الأذكار والدعوات.
وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات، فيشتمل على عشرة كتب:
كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب آداب الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السمع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات، فيشتمل على عشرة كتب:
كتاب شرح عجائب القلب، وعجائب ستأتي معنا عجائب شيخنا لما بدأ بإحياء علوم الدين بدأ بأحوال القلب أيها الأحباب.
كان الدرس في الأسبوع مرة، لكن باعتبار أننا نقرأ هذا الكتاب كل يوم، شاورت أهل الفضل في هذا، قال: باعتبار أنكم كل يوم تقرؤون، ولا، ابدؤوا الكتاب من

أوله نعم.
وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد.
لذلك الغزالي سمّى العلماء «جواسيس القلوب»، يتكلم عن أشياء في القلب لا تكاد تخطر ببال أحدنا. أسأل الله أن ينفعنا.
وكتاب ذم الدنيا. نعم، لما تكلم عن ذم الدنيا قال: يقول قائل لي: تريد أن تعطل هذه الدنيا؟ لسه عم تذم الدنيا! قال الغزالي: لا تخف على الدنيا، فجلّ الخلق معها، حتى المصلي أكثر المصلين في صلاتهم يعيشون مع الدنيا. حتى في العبادات كثير منهم يريد الدنيا مع العبادة!

يقول لك: «عم نصلي والله رياضة»، قال لك: «صليتُ بالليل»، سمعت الدكتور عم يقول: «يلي بيصلي التهجد ما بيجيه مرض القلب». الله أكبر! هلأ هيك صار التهجد، يلي فيه الأنس بصحبة الحق، صار من أجل دفع الجلطة!
يقول لك: «سلمت سلامًا كاملًا لأنه الدكتور قال: هي رياضة للرقبة بتعمل هيك... عملت رياضة حتى تسلم من ديسك الرقبة».
والركوع تمام حتى المفاصل تسلم.
انظر كيف الدنيا دخلت في الصلاة وفي الزكاة وفي العبادات! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

في الزكاة، أكثر الناس ما يعطون زكاتهم إلا لمن يمدحهم ويثني عليهم، أما إذا واحد تعطيه الزكاة ما عاد يشوفوك ولا بيجيب سيرتك. نادر من يعطيه ابتغاء وجه الله.
يشتري الآن الجاهات بمال الزكاة. حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال: وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء.
وين... فنّد تفنيدًا! أبو رشيد شو كان يقول؟ شيخنا لما يقرا الإحياء، يقول: «عم ينخل الناس نخل».
تكلم عن العلماء وما يدخل عليهم من الرياء، تكلم عن المؤذنين وعن المحتسبين، ما ترك أحدًا إلا صار يخاف عليهم. نخل! أسأل الله أن يحفظنا، قولوا آمين.

الواحد مفكر حاله من القمح الطيب الحوراني البلدي، بعدين يطلع من الوسخ اللي عم ينزل من المنخل!
لكن هذا ما يعرفه إلا إذا قرأ. هلا كل واحد منا يقول لك: أنا من فوق، من القمح.
أما بكرة بَصَل تلاقي وين أنت وشيخك؟ من تحت!
﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

نسأل الله العافية. نحن نقرّ بذنوبنا، والله غفور رحيم. ما بدنا نشوف حالنا.
تعرف حدّك وتستغفر وتتوب، والله عز وجل يتجاوز.

لكن المشكلة عند المستكبر، يسمع عن متكبرين، يقول لك: «عم يقصد فلان وفلان وفلان».
مثل واحد، عم نحكي عن التوبة في جلسة، قال لي: «شيخي، كلهم بيصلوا طلاب علم، مين عم تحكي عن التوبة؟»
قلت له: «عم حاكي حالي وخاطب نفسي».
هدول عكريت آخر الزمان، بيسمع عن التوبة يقول لك: «عم يحكي عن الزعران!».
قلت له: شيخنا كان يقول: «وأولى الناس بالتوبة من يظن أنه لا يحتاج إلى التوبة».

واحد خطب عن التوبة، بعد الخطبة قال لي: «منيحة ها التوجيه للعصاة المذنبين يعرفوا شو بدهن».
قلت له: الله يرضى عن شيخنا كان يقول: «أولى الناس بالتوبة من يظن أنه لا يحتاج إلى التوبة».
والله مباشرة وصلت الرسالة.

أنصح نفسي وإياكم: أستغفر الله وأتوب إليه. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ جميعًا: العلماء والجهلاء والصالحون والطالحون، كلهم مطالب بالتوبة.
وأولى الناس بالتوبة من يظن أنه لا يحتاج إلى التوبة. هذا طريق الآخرة.

نسأل الله أن يُسكِنَنا هذا الطريق بخير ولطف وعافية. نعم، تضرّعوا إلى الله، وأنه الله يتحنن علينا ويسلكنا هذا المسلك إن شاء الله، وأن يجعلنا من عباده المخلصين.

قال: وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما الربع المنجيات، فيشتمل على عشرة كتب:
كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة يا حبيبي، والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت.

فأما ربع العبادات: فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه. الله أكبر! في خفايا يا أحباب في العبادات!
«أنت إلى حلمه إذا أطعت أحوج منك إلى حلمه إذا عصيت».
عامل، مدرس، شيخ، خطيب، محط هناك في آفات... إذا ربّي ما سلمك ربما هؤلاء المستمعون يسلمون وأنت تهلك!

عامل مشيخة وزعامة عليهم هؤلاء رؤوس البصل العصاة، وأنا إمامهم!
يا فاسد التركيب! يا حائلاً بيني وبين حبيبي!
بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه، إذا ما اطلع على هذه الآفات ليس من علماء الآخرة.
وأكثر الناس يقرؤون العلم ما يقرؤون هذا، ويظنون أن أنفسهم من علماء الآخرة، وهم عند التحليل يطلع معهم سرطانات: سرطان الغفلة، سرطان الكبر والعجب.

قال: وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات.

وأما ربع العادات: فاذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق، ودقائق سننها، وخفايا الورع في مجاريها، وهي مما لا يستغني متدين عنها.

وأما ربع المهلكات: فاذكر في كل خلق مذموم ورد القرآن بذمه.

الإمام الغزالي يا أحباب!
كان يوزّع شوربة على باب سلطان أبي يزيد أو سلطان شيخ محي الدين! الإمام الغزالي الذي نقرأ كتبه إمام عظيم من أئمة الأصول وأئمة الفقه والعقيدة والفلسفة، بل أفحم الفلاسفة. كتب الإمام الغزالي في الرد على الفلاسفة، كثير من أئمة زمانه ما استطاعوا أن يكتبوا كما كتب.

إمام عظيم! بعض الناس يقول لك: «والله هذا صوفي يست صغيرا!» مثلما نظر أبو جهل وأبو لهب للنبي عليه الصلاة والسلام: ما استفادوا من رؤيته، نظروا إلى ابن أبي كبشة هذا! وهكذا بعض الناس ينظر إلى هؤلاء الأئمة الأعلام فيُحرم من النفع بهم.

لكن إذا نظرت نظرة صادقة إلى هذا الإمام العظيم، استفدت من كل كلمة يذكرها في هذا الكتاب.

نعم، المدرسة النظامية في بغداد، جامعة من أكبر جامعات الدنيا، كان إمامها الغزالي، 5000 محبرة كانت تكتب عن الغزالي لما كان يتكلم رحمه الله عليه.
وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته، ثم سببه الذي منه يتولد.
اقرأ بسرعة لأن هذا سيأتي معنا مفصلًا، سنعيش عمرًا مع هذا، ثم الآفات التي عليها ترتبت، ثم العلامات.

ها العلامات التي بها تتعرف: إنه شلون أنا متكبر؟ شو علامة التكبر؟ كيت وكيت. أعرف العلامة، يقول: والله فعلًا أنا متكبر، إي نعم، الآن أريد أن أتخلص من هذا السرطان. ثم طرق المعالجة كمان، ها! بس بيعطيك شو سيدي؟

هلا بعض الأطباء بيقول له: «أنت معك كيت»، لك فهمت شو الدواء؟ مثل هذا الذي حيّر الأطباء، إي نعم. يذكر أمراضه، ما وجد له دوا، بعدين قال له: «يا

دكتور شو الدواء؟» قال له: «شمّ الهواء»، خرج إلى نزهة وشمّ، فكان دواؤه هناك.

ثم طرق المعالجة: يشخص لك المرض ثم يذكر لك الدواء. الغزالي رحمه الله، التي بها منها يتخلص. كل ذلك سيذكره مقرونًا بشواهد الآيات والأخبار والآثار. يجيب لك آيات قرآنية، شاهد من الآيات، ثم أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، ثم من الآثار ما ورد عن الصحابة والتابعين.

ما في تخليط، على مذهب إمام الطائفتين سيدي أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه، قال: «لا يُقبل عندنا شيء إلا بشاهدين: شاهدٍ من الكتاب وشاهدٍ من السنة».

ريح بالك، وإياك أن تلتفت إلى الحساد. مثل واحد البارح أرسل لي رسالة، قال لي: «والله انزعجت أنا إنك حكيت مدحت الإمام الشيخ محي الدين ابن العربي».
قال لي: «من كثر ما بسمع عنه مفكره، يظنه هؤلاء أنه دخل في الزندقة والكفر».
أعوذ بالله، أعوذ بالله، أعوذ بالله.

وأما ربع المنجيات: فأذكر في كل خلقٍ محمود وخصلةٍ مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين، التي بها يتقرب العبد من رب العالمين.
وأذكر في كل خصلةٍ حدّها وحقيقتها، وسببها الذي به تُجتلب، وثمرتها التي منها تُستفاد، وعلامتها التي بها تُتعرف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يُرغب، مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل.

ولقد صُنّف في بعض هذه المعاني كتب، نعم، يقول في التعليق: «قوت القلوب» و«منازل السائرين» و«الرسالة» و«التعرف»، نعم، وغيرها، نعم.

لكن يتميز هذا الكتاب، كتاب الغزالي، عنها عن الكتب التي صُنّفت في هذا بخمسة أمور:

الأول: حلّ ما عقدوه وكشف ما أجملوه. هذا الكتاب بيّن لنا فصل المسائل تفصيلًا.
الثاني: ترتيب ما بدّدوه ونظم ما فرّقوه، جمعه لنا الإمام الغزالي في سلك.
الثالث: إيجاز ما طوّلوه وضبط ما قرّروه.
الرابع: حذف ما كرّروه وإثبات ما حرّروا.
الخامس: تحقيق أمور غامضة اعتاصت، نعم، لم يتعرض لها في الكتب أصلًا، إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا يُستنكر أن ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لأمرٍ يخصّه ويغفل عنه رفاقه، أو لا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن إيراده في الكتب، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف.

يقول المصنف رحمه الله تعالى: «فهذه خواصّ هذا الكتاب».
سامحوني أن أطلتُ عليكم اليوم، لكن هذه مقدمة، إن شاء الله في بقية الأيام لا أطيل، ورب العزة والجلال يبارك، إن شاء الله يبارك، يبارك.

نعم، قال: «فهذه خواصّ هذا الكتاب مع كونه حاويًا لمجامع هذه العلوم».
ثم قال: «وإنما... نعم، صليتم على الحبيب؟» نكمل هذه المقدمة أيها الأحباب، ونبدأ غدًا إن شاء الله في كتاب العلم.

قالوا: «إنما حملني على تأسيس الكتاب على أربعة أرباع أمران». صليتم على الحبيب صلى الله عليه وسلم؟
انتبهوا، ما أطيل عليكم أيها الأحباب، لكن نتمم المقدمة، وغدًا إن شاء الله نبدأ بكتاب العلم، نعم.

أحدهما، وهو الباعث الأصلي: أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كضرورة، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط.
اسمعوا الكلام: دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب.

علوم المكاشفات ما في رخصة أن تُودع في الكتب، أسرار.
كما يقول شيخنا الشيخ علي فروجي: «غير مأذون أن أتحدث بها، غير مأذون أن أتحدث».

فها علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب، أسرار، وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين.
وعلم المعاملة طريق إليه. هذا الذي نقرأه الآن من العلم والعمل والتزكية طريق إلى علم المكاشفة.

ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه، نعم.
وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال؛ لأنه من الأمور الوجدانية.
إن العاقل يكفيه الإشارة، والغافل لا يفيده صريح العبارة، علمًا منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، نعم.

والعلماء ورثة الأنبياء، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء.

ثم اعلم: إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر، أعني العلم بأعمال الجوارح، هذا علم ظاهر، وإلى علم باطن، هذا الذي كان الشيخ ملا رمضان يقول: «له فوت لجوا، غمّ شوي، كمان كمان لجوا لجوا لجوا»، إخلاص!

عن العلم بأعمال القلوب. الآن لا نفهم إلا من مرض القلب إلا إذا صار معه جلطات، وصار معه... لك يا حبيبي مو هذا المقصود!
لما بيتكلم الأولياء عن القلب ما بيتكلموا عن هذا الذي يقول عنه الأطباء: «على الشكل الصنوبري»، مو هذا هو القلب على السر.

قال: «والجاري على الجوارح ما يجري على الجوارح: إما عبادة أو عادة».
والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت: إما محمود وإما مذموم.
فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين: ظاهر وباطن.
والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عبادة وعادة.
والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود.

فكان المجموع أربعة أقسام، ولا يشذّ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

الباعث الثاني: أني رأيتُ الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف اللّٰه تعالى للتدرج به.
اسمعوا! هلا كثير من الناس بيقرؤوا الفقه حتى يتباهوا على الناس: «أنت فاسق!»، هذا يقول له: «فاسق»، وهذا يقول له: «كافر»، وهذا يقول له كذا. فقط! ما يعلم الفقه إلا لهذا: للتدرّب به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات: «لك أنا... وأنا... وأنا...».

وهو مرتب على أربعة أرباع، والزي بالزي محبوب، فلم أبعد، نعم، أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفًا في استدراج القلوب.

ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب، فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعًا في الجداول والرقوم، وسماه «تقويم الصحة».
إيش سماه؟ «تقويم الصحة». يعني هذا من قديم، خمسين سنة، هذا العلم الطب وكانوا يسمونه علم... بدل «العلوم الطبيعية» كان يُسمى «علم الصحة».

نعم، قال: «وسماه تقويم الصحة»، لماذا؟ ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبًا لهم إلى المطالعة، والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد.

هلا كلنا نشتغل بالعلم الذي يفيد في الدنيا، وهي الملعونة الزائلة، أهم من التلطف في اجتذابهم إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد.

فثمَّ هذا العلم: طبّ. ثمرة هذا العلم الذي نقرأه: طب القلوب يا أحباب، والأرواح، للتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد.
فأين منه الطب الذي تُعالَج به الأجساد وهي معرّضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد؟

فنسأل اللّٰه تعالى التوفيق للرشاد والسداد، إنه هو الكريم الجواد.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى:
كتاب العلم.

نقف هنا أيها الأحباب عند كتاب العلم، نبدأ به إن شاء الله تعالى في الغد القريب بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

وأنا أطلب من نفسي ومنكم إن شاء الله، ومن المستمعين والمشاهدين، أن نقرأ جميعًا سورة يٰسٓ إن شاء الله، على أن يفتح الله علينا فتوح العارفين، ويوفقنا توفيق الصالحين، وأن ينفعنا بما نقرأ، وأن يجعل ما نقرأه حجةً لنا يوم القيامة، وألّا يجعله حجةً علينا.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
والحمد لله رب العالمين.

كلُّها إذا كان العلمُ خالصًا لوجه الله، ما جاء في فضل العلم والتعلُّم والتعليم؛
هذا إذا كان خالصًا لوجه الله.
أمّا ما كان من أجل طلب جاهٍ أو دنيا، فهذا وَبالٌ على صاحبه.

الباب الثاني: في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم، وبيان حدِّ الفقه، والكلام من علم الدين. سيُبيِّن لنا المصنِّف رحمه الله تعالى تعريف الفقه، ومَن هو الفقيه. أقلُّ درجةٍ من درجات الفقيه أن يعلم أنّ الآخرة خيرٌ من الأولى.
إنّ من قائلٍ يقول: طيب، هذا الثواب العظيم للفقه وللفقهاء، طيب، وهذا نراه فقيهًا متفقّهًا في الدين وهو يُنافِق!
هذا ليس بفقيه، هذا صاحب صَنعة، صاحب صَنعة.

وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا؛ سيُبيِّن لنا المصنِّف أنّ هناك علمَ آخرة، وهناك علمَ دنيا، وهناك علماءَ آخرة، وهناك علماءَ دنيا، وهناك علماءَ سُوء.

الباب الثالث: فيما تعدُّه العامةُ من علوم الدين وليس منها، وفي بيان جنس العلم المذموم وقدْره.

الباب الرابع: في آفات المناظَرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجَدَل.

الباب الخامس: في آداب المعلّم والمتعلّم.
نعم، الباب الرابع في آفات المناظرة، والباب الخامس في آداب المعلّم والمتعلّم؛ أمّا أن يكون طالبَ علمٍ من غير آداب فلا، أو عالمًا معلّمًا من غير آداب فلا، فلا يحصل له هذا الخير.
وعلى قدر التبجيل يكون التحصيل.
وما حصّل سلفُنا الصالح العلومَ النافعات إلا بالأدب والتعظيم.

الباب السادس: في آفات العلم؛ هناك للعلم آفات، والعلماء وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى، وليلى لا تُقِرُّ له بذاك.
لذلك قال: والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة؛ الكل يقول: نحن علماءُ آخرة.
سيذكر لنا الإمام الغزالي علاماتٍ فارقةً بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة.

الباب السابع: في العقل وفضيلته وأقسامه، نعم، وما جاء فيه من الأخبار.

اللّه أكبر!
العقل!
اللّه يرضى عن الإمام الشافعي، وعن أئمة الأعلام كلهم، وعن نبيهم، آمين.

كان يمشي خلف الإمام أحمد بن حنبل، كان يمشي خلف بغلة الإمام الشافعي رضي اللّه عنه.
فأحد أئمة زمانه قال له: تترك سفيان الثوري وعلوّ سنده، وتمشي خلف بغل هذا الفتى الشاب؟
قال له: لو عرفتَ ما عرفتُ لَمِتَّ بالجانب الآخر؛ لأن فاتني علوّ سند سفيان الثوري، أدركتُ نزوله؛ فاتني السند العلوي، لكن إن فاتني عقلُ هذا الفتى، فكيف

أحصّله؟
عظيمٌ مكانُه!
دائمًا يدعو للإمام الشافعي، يدعو، يدعو.
قال له ولده مرة: يا أبتِ، مَن هذا الشافعي؟ دائمًا تقول: تدعو له! مَن هذا الشافعي؟
قال: يا بُنيّ، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن.
وفي الحديث: وصار صاحبَ مذهبٍ، وصار الصديقَ الثاني لأمةِ رسول الله ﷺ.

نعم، صلّيتم على الحبيب؟
اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الباب الأول: في فضل العلم والتعليم.

والتعلُّم نعم، وشواهد من النقل والعقل.
فضيلة العلم: أكثر الناس اليوم أعرضوا عن العلم لأنهم لا يعرفون فضل العلم.
رحم الله شيخَنا صاحبَ هذا المجلس، كان دائمًا يروي لنا عن أحد الأئمة من السلف الصالح، قالوا له: لو قيل لك ما بقي في عمرك إلا ساعة، وبعد ساعةٍ تموت، ماذا تصنع في هذه الساعة؟
قال: أطلب بها العلم، لأن الله تعالى قال: ﴿وقل رب زدني علما﴾.
اللهم زدنا علمًا وإيمانًا ويقينًا.

وشواهدها من القرآن: قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾.
فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه: ﴿شهد الله﴾، ثم ثنّى بملائكته، وثلّث بأهل العلم.
وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا وجلالًا ونُبلًا.
اللهم زدنا علمًا نافعًا يا رب العالمين.

يا الله، دكتور نور الدين عتر حفظه الله تعالى وشافاه وعافاه، كان له درسٌ في الجامع الأموي يوم الأربعاء بعد المغرب.

قال: بفضل العلم ربّي سلّم رجلًا من الكفر. بفضل الله ثم بفضل جلسة علم جلسها.
هذا الرجل كان العالم يتكلم عن الشيطان، فذكر أن الكلب الأسود يعني الشيطان، وأن الشيطان كثيرًا ما يتشبه بالكلب الأسود.

سمع هذا رجلٌ من أهل دير الزور. بعد مدة، زاره إنسان وجعل يدخل به شيئًا فشيئًا، حتى شوقه لمعرفة شيخٍ من أهل الحق، وقال له: هؤلاء العلماء كلهم على باطل.
وبعد مدة، لما نضج قلبه لهذا الكلام، قال له: الآن سأُعرّفك على شيخنا.
أخذه، أركبه في السيارة، ومشى في شوارع دير الزور حتى خرج منها.
قال له: أين الشيخ؟
قال: الشيخ في خلوة، هؤلاء العلماء في قلب البلد، أما شيخنا مع الملائكة خارج البلد.

خرجوا ودخلوا الصحراء، ثم صعدوا جبلًا بالسيارة.
قال له: أين تأخذني؟
قال: هنا قاعد مع الملائكة.
نزلوا من السيارة، مشى وصعد الجبل، فوجد مغارة، ودخلها، فرأى رجلًا متزيّيًا بزي العلم، مطرق الرأس، يركع ويسجد لكلبٍ أسود! والعياذ بالله.

فتذكّر الرجل مجلس العلم الذي حضره، وقال: الله أكبر! أين أنا وقعت؟! أين تورطت؟!
فجعل يتسلل حتى نجا بنفسه، وباع بيته في دير الزور، وباع دكانه، ونقل تجارته إلى الشام، ولزم أهل العلم والفضل وأهل السنّة والجماعة، لينجو من النار ببركة مجلس علم واحد.

أعرفت فضل العلم؟
الناس الآن أعرضوا عن العلم، يريد أن يلزم مجالس الذكر والمولد والولائم، من غير فقه، فيضلّه الشيطان.
أنا لا أقول لك: لا تحضر مجالس الذكر والصلاة على النبي ﷺ، لكن أقول: تفقّه

في دينك قبل أن تجلس هذه المجالس.

كما قال سيّدنا الإمام الكبير أحمد الرفاعي قدّس سرّه، قال: "قل قال أبو حنيفة، قال الشافعي، قبل أن تقول قال الفضيل، قال أبو يزيد. فإن قول أبي يزيد لا ينقص ولا يزيد".

تفقّه في دين الله.
وقال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.
تعلّم وتفقّه واعمل بهذا العلم، واقرأ هذه العلوم النافعات، وتعلّم الإخلاص، وأخلص لله ربّنا عز وجل، يرفعْك في الدنيا والآخرة.

ربّنا يقول: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.
تعلّم ثم اعمل.
الآن أكثر الناس يعملون ثم بعد ذلك يريدون أن يسألوا: تاجر عشرين سنة، بعد عشرين سنة سأل عن أحكام الشركة، فتبيّن أن الشركة فاسدة، ومنذ عشرين سنة يأكل الربا والحرام!
يصلّي منذ أربعين سنة، ثم جاء يسأل عن غسل الجنابة، فتبين أنه طوال أربعين سنة يغتسل للجنابة من سرّته إلى الأسفل، ولا يغسل بطنه ولا رأسه ولا أعضاؤه.
قال: هذا لا علاقة له بالجنابة!
فصلاته أربعين سنة باطلة، ويجب عليه أن يعيدها.
هذا الذي أعرض عن مجالس العلم.

وسيدي أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه يا حمصي، قال: مارستُ العبادات كلها — اسمع حتى تعرف لماذا الناس يعرضون عن مجالس العلم، أين في مولد، أين في وليمة، يذهب ولا يتفقه لأن ذلك أيسر —
قال: مارست العبادات كلها، ما وجدت أشقَّ على النفس من ملازمة العلم.

لذلك قالوا: العلم فحلٌ، لا يناله إلا الذُّكران من الرجال.
لا يطلب العلم إلا قويٌّ كالجمل الكبير، كسفينة الصحراء.
لا يطلب العلم إلا ذكر، وليس يبغضه إلا المخانيث.

لا تعجبنّ بمالٍ سوف تتركه، فإنما هذه الدنيا مواريد.

والناس الآن يعجبون: والله أنا أخذت جائزة كذا، وهذا أخذ جائزة كذا... بالملاكمة ولا بالخيل ولا...
واحد جاء إلى شيخنا، قال له: سيدي، هذا أخي بطل سوريا بالخيل!
قال له: أي شيءٍ بهوي! من قائلٍ من أحمقٍ يأتي ويقول له شيء بهوي!
لك شيءٌ بهوي! إنه بطل سوريا بالخيل، ولا يعرف أركان صلاته، ولا أركان وضوئه، ولا يعرف كيف يتعامل مع ربه سبحانه وتعالى... أيش الفائدة من هذا؟!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام.
درجات للعلماء، ليس الناس في الجنة سواسية!
الناس في الجنة يتراءون المنازل كما نتراءى الكواكب في الدنيا.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والله لا يستوون.
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.
هؤلاء علماء الآخرة، وهذا هو العلم النافع: تتعلّم وتتفقّه وتعمل بهذا العلم على وجه الصدق والإخلاص، فتكون عندك خشية لله؛ أنت الآن من العلماء.

أما الذي يقرأ الكتب ولا يعمل، هذا ليس بعالم.
ربنا حصرها ﴿إِنَّمَا﴾، وهي من أدوات الحصر المشهورة عند علماء البلاغة:
١) الإثبات بعد النفي
٢) الحصر بـ «إنما»
٣) تقديم ما حقه التأخير
٤) العطف بـ «لا» أو «بل» أو «لكن».

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ هؤلاء العلماء هم أشد خشيةً لله سبحانه وتعالى.
فإذا رأيت من جمع العلم وليس عنده خشيةٌ لله، فهذا ليس بعالم.

العالم صاحب خشية، صاحب خشوع، صاحب دموع، صاحب تذلل وانكسار، العالم الذي يقوم من الليل ويبكي، دائمًا مطرق رأسه متذللًا لربه سبحانه وتعالى.

رضي الله عن الفضيل بن عياض وكل هؤلاء الأئمة الأعلام؛ الذي ما قرأ ترجمتهم يظن أنهم في زوايا وتكايا وليس عندهم علم!
لا! اقرأ ترجمتهم.

في الرسالة القشيرية يقول: كان الفضيل بن عياض قد أسند الحديث، وهو من أتباع أبي حنيفة، ولزم الحديث والفقه، وأخذ من العلم الخشية.
كان يقوم طيلة الليل يصلي ويبكي، ويردد آيةً واحدة من القرآن: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ يبكي، ويقول: «إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا! إن بلوتَ أخبارنا هتكتَ الستر عنا!»

وكان يتوجّه إلى أهل القرآن الذين يحفظون القرآن ولا يقومون فيه ولا يبكون ولا يخشعون، خاصةً في هذا الزمان: يريد إجازة!
«أعطني إجازة!» لو يسر له الإجازة من غير حفظ لأخذها!
وهناك من زوّر الإجازات!

جاءت امرأة تريد أن تُعلّم في أحد مساجد دمشق القرآن الكريم. حدثني من امتحنها، قال: قلتُ لها: اقرئي آية الكرسي!
فأخطأت في آية الكرسي! ومعها إجازة!
أخذ الهاتف واتصل بالشيخ الذي وقّع لها الإجازة، قال له: عندي فتاة تدّعي أنها مُجازة منك، وامتحنتُها فلم تحفظ آية الكرسي.
فقال الشيخ: يجب أن يكون عند كل شيخ سجلٌ بأسماء من أجازهم. أخرج السجل وقال: ما اسمها؟ قال فلانة.
قال: ليس لها اسم عندي! هذه مُزوّرة! والعياذ بالله.

تبيّن أنها زوّرت الشهادة وتقول: «أنا مجازة بالقرآن الكريم»!
هذا هو القرآن الذي فهمه الإمام الفضيل بن عياض.
نظر إلى أهل القرآن، وقال: عجبًا لكم، كيف تستطيعون أن تناموا؟!

هذا هو العلم النافع.
قال: آيةٌ واحدة ما تركتني أنام الليل! ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ يبكي ويرددها.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ هؤلاء العلماء الذين نسأل الله أن يرزقنا الاقتداءَ بهم.

ولله الحمد نسأل الله أن يوفقنا ببركة أشياخنا الذين علمونا وربَّوْنا رضي الله تعالى عنهم.
أسأل الله العظيم رب العرش العظيم بجاههم وبركتهم أن يُسكننا مسالكهم بخيرٍ ولطفٍ وعافية.

الحمد لله! ربي عز وجل أكرمنا بخدمة الشيوخ على هذا النمط: شيخنا الشيخ عبد الرزاق الحلبي رضي الله عنه، وشيخنا الشيخ صالح الفرفور، وشيخنا الشيخ أديب الكلاس، والشيخ أبو موفق، وكل أشياخنا، شيخنا الشيخ علي الفروجي الآن على قيد الحياة، بارك الله لنا في حياتهم. كلهم على هذا النمط: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.
ومن عنده علم الكتاب.

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾.
تنبيهًا أنه اقتدر عليه بقوة العلم! أنا آتيك بعرش بلقيس! اقتدر عليه بقوة العلم.

حدثني البارحة أحد أحبابنا عن شيخنا الشيخ علي الفروجي حفظه الله.
أمه منذ مدة في غيبوبة، ذهب لزيارتها، لما دخل عليها قال: «السلام عليكِ يا أمي!»
رجعت إلى صحوها وجلست معه ثلاث ساعات تكلمه!
ولما سافر، رجعت إلى غيبوبتها! علمٌ وعمل، ثم تأتي الإمدادات والعطايا!

ولما أخذ الهاتف الداخلي، اتصل به أخوه من الإمارات إلى الشام... تليفون داخلي!
أخوه قال له: «تأذن لي؟»
قال له: «لكن داخلي». فأذن.
ثم قال له: «تأذن لي أن أركب السيارة؟»
قال له: «لكن محركها خربان مكسور!»
قال: «بسم اللّه!» شغّل السيارة فاشتغلت! قضى حاجته ورجع.
ركب أخوه في السيارة فلم تشتغل!

علمٌ وعملٌ على وجه الإخلاص.
واللّه، كما قال لي الشيخ علي: «من كان مع اللّه، واللّه الدنيا تكون بين يديه!»
«كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.
أهل الدنيا يريدون الدنانير والدراهم، افتتنوا بمال قارون، وقال الذين أوتوا العلم: «ويلكم! ثواب اللّه خيرا!».

هذا العلم أورثهم طلب ما عند اللّه، وثواب اللّه لا ينال إلا بالعمل الصحيح الخالص لوجه اللّه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
وأحسن العمل ما هو؟ أخلصه وأصوبه.

لا يكون إلا على وجه السُّنّة. إخلاص مع صواب.

هناك من عنده إخلاص، كثيرٌ من الناس يتبعون مجالس الذكر وينتقلون من مولد لمولد، عندهم إخلاص، لكن ما تفقهوا في دين اللّه! مساكين!
تقول له: من خمسين سنة تروح من مجلس لمجلس، تعال اقرأ لي فاتحة الكتاب! لا يحسن قراءة فاتحة الكتاب!
كيف يصلّي؟ صلاته غير صحيحة! عنده إخلاص لكن ما عنده صواب!

وهناك من تعلّم وتفقّه وأخذ الشهادات في الشريعة، مثل هذا الذي من يومين كان يغتاب! قلتُ له: ما يجوز!

قال لي: «أنت حلقة شوك في حلقي!» طلع خُلُقه عليّ، وقال لي: «أنا معي شهادة من كلية الشريعة! وأنا لي عشرين ثلاثين سنة أدرس!»

والله حيعمل لي بهدلة! لأنه يرى أن هذا حرام!

فهذا تعلّم، شو سيدي؟ لكن ما استفاد!

ما استفاد من علمه! هذا ليس بعلمٍ أيها الأحباب!

الله أكبر! العلم الصحيح هو الذي يورث الخشية.

وقال الذين أوتوا العلم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

هؤلاء هم أهل العلم.

إذا أردتَ أن تميّز بين العالم وبين غيره: فانظر!

إن رأيتَ هذا العالم في مرضاة ربّه، وفي تحصيل ما فيه الأجر، على وجه الصدق والإخلاص، فهذا عالم.

وإن رأيته يريد جاهًا، وثرثارًا، ولا يطلب ما عند الله، ويعرض عن العبادة، ويشتغل بنفخ نفسه، فهذا ليس بعالم.

إنّما عَظُمَ قدرُ الآخرة يُعْلَمُ بالعلم! يُعْلَمُ بالعلم!

الآن أنتَ تعلّمتَ يا حبيبي، يوم القيامة... نعم.

ذكر هذا الإمام الشعراني، أحد علماء العصر، ألّف كتابًا في عوالم علوم الآخرة، فذكر هذه المسألة.

قلتُ له مرّةً سرًّا: لما قلتَ ذكر المسألة، الشعراني هو ربّي ألهمه هذه المسألة.

أنّ يوم القيامة الناس يذهبون إلى الأنبياء: آدم، إبراهيم... وكل نبي يقول: «نفسي نفسي نفسي».

أخيرًا يذهبون إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: «أنا لها! أنا لها!».

قال في كتابه توجيهًا: يوم القيامة لا تتعبوا أنفسكم فتذهبوا إلى الأنبياء واحدًا واحدًا... مباشرةً في موقف الحشر، اذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذي يقول: «أنا لها!».
قلتُ يا سيدي، هذا ذكره الشعراني، فسرّ سرورًا بالغًا بهذا وقال: «أرسل لي هذه العبارة».
رجعنا إلى واقع الأنوار القدسية وأرسلتها له.

فهذا أدركه بالعلم! حتى لا تتعب يوم القيامة، ترى الناس متوجهين إلى آدم وإبراهيم وإلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام...
أنتَ مباشرةً فلتكن وجهتك إلى صاحب الشفاعة، السيد الأعظم والنبي الأفخم صلى الله عليه وسلم؛ تريح نفسك في ذاك الموقف العصيب!
وهذا أدركه العلماء بالعلم.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.
اللهم اجعلنا منهم! قولوا آمين.
وزِدنا علمًا وإيمانًا ويقينًا.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾.
الله أكبر! ردّ حكمه في الوقائع إلى مَن؟
إلى استنباط العلماء الربانيين.

والحق رتبتهم: رتبة العلماء الفقهاء الربانيين، برتبة الأنبياء في كشف حكم الله عز وجل.

رضي الله عن الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الذين استنبطوا، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. قولوا آمين.
فإن أردتَ أن تتبع فاتّبعهم، واتّبع أتباع هؤلاء أصحاب المذاهب الأربعة.
وإياك أن تتبع «نوك» آخر الزمان الذين يسبّون ويطعنون في الأئمة الأربعة، ويقولون: «نحن رجال وهم رجال!».
ظنّوا الرجولة بالذُّكورة!
والعياذ بالله... لا! ليست هذه هي الرجولة!

وقيل في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾:
الله أكبر!
قيل يعني: العلم!
العلم يواري سوءاتكم.

اللهم أغنِنا بالعلم، وزيّنا بالعلم! نعم.
يواري سوءاتكم: العلم يستر عوراتك عندما تتعلّم: تعلمتَ الصمت، تعلمتَ الحكمة، تعلمتَ مكارم الأخلاق، تعلمتَ الخشية، تعلمتَ غضّ البصر، تعلمتَ برّ الوالدين، تعلمتَ الوفاء، تعلمتَ الإحسان إلى زوجك...
إذا عملتَ بهذا، سترتَ عوراتك.

أما الجاهل، فهو مفضوح أينما ذهب! والعياذ بالله.
وقيل في قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾ يعني: اليقين.
ولباس التقوى يعني: الحياء.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاكُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.
وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾.
وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
اللهم آتِنا علمًا وإيمانًا ويقينًا يا رب العالمين.

في صدور الذين أوتوا العلم.

رضي الله عن الإمام الغزالي!
كان شيخُنا رحمه الله، الشيخ عبد الرزاق، صاحب المجلس، وحديثُنا عن الإمام الغزالي: أنّه كان مرةً في سفر، فخرج عليه اللصوص فأخذوا منه كتبه.
فقال لهم: «كتبي! كتبي!».
فأحد اللصوص قال له: «يا إمام! العلم في الصدور لا في السطور!».

فأخذ الحكمة من اللص، وعكف على حفظ العلم غيبًا.
قال: العلم في الصدور لا في السطور.

فجعل يحفظ هذه العلوم.

فكل حافظٍ إمامُه إمامُه!

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.
الله أكبر!
وإنما ذُكِر ذلك في معرض الامتنان: ربُّنا هنا ذكر هذا في معرض الامتنان.

خلَق الإنسان، أنعم الله عز وجل عليك يا ابن آدم بنعمة الإيجاد: أوجدَك من العدم!
ثم أنعم عليك بنعمة الإمداد: علمَك البيان!
بعد أن أوجدك من العدم، أعظم نعمة أنعم الله بها عليك: ما هي؟
العلم!
العلم يا أحبتي! نعم.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا.

صلّيتم على الحبيب؟
اللهم صلّ على سيدنا محمد مفتاح خزائنك!
اللهم افتح لنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما أُغلِق علينا.
اللهم صلّ على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقال: وأما الأخبار، ذكر لنا الآن كل مسألة... على مذهب أبي القاسم الجنيد: لا يُقبل عندنا شيء إلا بشاهدين: شاهد من القرآن، وشاهد من السنة.
وهكذا إحياء علوم الدين كله أيها الأحباب، كما سيأتي معنا: كل ما ذكر مثالًا، يأتي بشواهد من القرآن، وشواهد من السنة المطهرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدين، ويُلهمه رُشده». رواه البخاري ومسلم.
وزيادة عند الطبراني: «ويُلهمه رشده».

من يُرِدِ اللّٰهُ به خيرًا... انتبه يا مسلم!

العلامة ابن عابدين في حاشيته، في أول حاشية ابن عابدين رضي اللّٰه عنه، شيخنا الذي قرأ هذه الحاشية أكثر من خمس أو ست مرات من ألفها إلى يائها في الجامع الأموي، بين المغرب والعشاء، ذكر قول أحد الأئمة:
«ما أحدٌ يعلم مراد اللّٰه به - من غير الأنبياء - إلا الفقهاء!».

ما أحدٌ في الدنيا يعلم ما أراد اللّٰه به إلا الأنبياء، فهم صفوة خلق اللّٰه، أو الفقهاء؛ علموا ما أراد اللّٰه بهم.

من قول النبي عليه الصلاة والسلام:
«من يُرِدِ اللّٰهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدين».

والفقه في الدين: أن تتعلم الأحكام، وأن تعمل بها على وجه الإخلاص.
هذا هو الفقه!
وهذا هو الفقيه!

من يُرِدِ اللّٰهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدين.

الحديث هذا منطوقه وله مفهوم، ومفهوم الحديث: ومن لم يرد اللّٰه به خيرًا لم يفقهه في الدين.
خليها في بالك، كل واحد ينظر إلى نفسه: إن كنت يا حمصي تتعلّم الأحكام الشرعية، تتفقه في دين اللّٰه، فقد أراد اللّٰه بك خيرًا.
ما تفقه في دين اللّٰه، ما أراد اللّٰه بك خيرًا.

وإن عمل، يا أحبابي، هلا، بعض كثير من الناس يعملون، يظنون أنهم يعملون الصالحات، ولكن من غير علم، غير فقه في الدين.
وكل من بغير علم يعمل، أعماله مردودة، مردودة لا تُقبل.
من يرد اللّٰه به خيرًا يفقهه في الدين، ويلهمه رشده.

الله أكبر!

وهذا ملاحظ أيها الأحباب: الذين تفقهوا في دين الله، وعملوا بعلمهم على وجه الإخلاص، ألهمهم الله الرشد.
الله أكبر! ترى أعماله كلها فيها الرشاد، فيها الهداية، فيها الصواب، فيها الحكمة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.
العلماء ورثة الأنبياء.

ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة.
الآن كل من تعلّم يقول: أنا وارث محمدي. صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

لكن أيها الأحباب، نسأل الله أن يعافينا من التخليط: من الوارث الذي تعلّم وعمل على وجه الإخلاص، وقصد نصرة دين الله ونصرة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا وارث، هذا وارث محمدي، هذا وارث.

أما الذي تعلّم من أجل الدنيا ومن أجل الجاه، هذا لا يُسمى وارثًا أيها الأحباب، لا يُسمى وارثًا أبدًا.
ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة.

فلذلك يقول أهل العلم: من أراد أن ينقل بضاعة الأنبياء، فلينقلها بأخلاق الأنبياء.
أما أن تقف وتقول: أنا أنقل بضاعة الأنبياء، ثم إذا صار وقت الصلاة لا تُصلّي!
ثم إن حصل خوضٌ مع الخائضين خضتَ في ذلك!
ثم إن جاء رجل وطعن بأحد العلماء وأنت ساكتٌ، تخاف على مكانتك ومنصبك، فلا تدافع عن أخيك، فأي وراثة هذه؟ أي وراثة هذه؟

في غزوة تبوك، النبي عليه الصلاة والسلام كان معه في غزوة تبوك قرابة 30 ألفًا، وفي رواية كانوا 70 ألفًا.

قال: ما صنع كعب بن مالك؟
النبي عليه الصلاة والسلام قال: ما صنع كعب بن مالك؟
قال رجل: شغله برداه والنظر في عِطفيه، قاعد الآن بمزرعته في المدينة: مياهٌ وثمارٌ... شو بده الآن يمشي 700 ميل في الصحراء إلى تبوك؟

فقام سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه، أعلم أصحاب رسول الله في الحلال والحرام، قال: بئس ما قلت! والله ما علمنا عليه إلا خيرًا.
أرأيت إلى العلم النافع كيف دافع عن أخيه؟
بئس ما قلت! والله ما علمنا عليه إلا خيرًا.

فَسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بمقولة سيدنا معاذ بن جبل والدفاع عن أخيه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يستغفر للعالم ما في السماوات والأرض».
الله أكبر!
ما في السماوات نعم، والأرض، يستغفر للعالم.

يقول في التعليق: إن العالم لما كان سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصورًا على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه، جوزي من جنس عمله، وجعل من في السماوات والأرض ساعيًا في نجاته من أسباب الهلاك باستغفارهم له.

يستغفرون له... يستغفرون للعالم: الحيتان في البحار تستغفر للعالم، الدواب تستغفر للعالم، لأن العالم يُعلّم الناس.

يُعلّمهم: أنا حديث النبي عليه الصلاة والسلام لما جاء هذا الجمل وشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه، وقال: إن هذا يشكوك بأنك تُدْئِبُه وتجي... تدب، عم تشغّل الجمل ولا تُطعمه!

العالم يُعلّم هذا، يُعلّم الناس: عندك دابة الآن، نعم، عليك أن تُطعمها.

جئتَ بعصفور يا حباب، وضعته في قفص، ما الحكم؟
جائز، كان شيخنا يقول: جائز، ولكن إذا جئتَ له بالطعام والشراب.
أما أن تضعه في القفص، تذهب للجامعة على همّك، وتنسى العصفور يموت...
أنت ظالم!
أنت ظالم! دخلتِ النار! دخلتِ امرأة النار في هرّة حبستها: لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

فالعالم يُعلّم هذا، لذلك هذه الحيوانات تستغفر له؛ لأن إحسانه واصلٌ إلى الكل.

وأي منصبٍ يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماوات والأرض بالاستغفار له؟!
فهو مشغول بنفسه، حبيبي، وهم مشغولون بالاستغفار له.

كما كان يقول شيخنا الشيخ أبو حامد قدس الله سره: كان يقول: الملائكة مسكنها السماء، وطلاب العلم مسكنهم المساجد.
يشتغلون في الدعوة إلى الله، وفي تعليم الأمة وإرشاد العالم في المسجد يُعلّم.

وأنت يا حمصي... جماعة تبليغ، بروحوا بيصطادوا الناس، بيجيبوهم لوين؟ للجامع!
وتقول له: يا شيخ قوم، اطلع تريك الدرس... واطلع. لا! أنت بتجيب له الزبائن.

شو بتسموها؟ إسعافات أنتم! إسعافات، ق!
جماعة دعوة التبليغ قدس الله أسرارهم.
يقولون: نحن مثل إسعافات: إنسان جريح، مركّبه، والإسعاف: يلا على المشفى!
بيجيبه على الجامع: خذ! استلم! جيب غيره ثاني، وثالث، ورابع، وخامس...

وهذه وظيفة! مو وظيفة بس جماعة دعوة! وظيفة المسلمين؛ لأن هذه الأمة كلها عليها أن تقوم بحمل دعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

اللهم وفّقنا لطاعتك ومرضاتك يا كريم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... ألف ألف صلاة.

٤١ وَقْتًا بِتَوقِيت وَيْب
الاثنين ١٨ مُحَرَّم ١٤٤٧ هـ
١٤ يُولْيُو ٢٠٢٥ م
دار الحكمة - ميولابوه، آتشيه الغربية، إندونيسيا

Hp 082368375616